

العنف ضد المرأة في المجتمع: من الواقع الاجتماعي إلى الفضاء الافتراضي

Violence against women: from social reality to virtual space

سهام قنيفي¹ ، فائزة بوزيد²¹ جامعة زيان عاشور-الجلفة (الجزائر) (sihame.guenifi@gmail.com)² جامعة محمد خيضر-بسكرة (الجزائر)، (profboufai91@yahoo.com)Siham Guenifi^{1*}, Faiza Bouzid²¹ University of Ziane Achour Djelf ² University of Mohamed Khider Biskra

تاريخ الاستلام: 2021/10/21 تاريخ القبول: 2021/11/08 تاريخ النشر: 2021/12/30

ملخص:

بقدر ما شكلت الفضاءات الافتراضية مكانا لحريات التعبير والديمقراطية على نطاق عالمي إلا أنها حملت الذهنيات والممارسات السلبية التي تحمل بذور العنصرية والعنف ضد النساء، حيث عملت هذه الفضاءات على نقل العنف من الواقع الاجتماعي إلى آخر افتراضي والذي يحمل العديد من المزايا التي تجعل من تعزيز وتكريس العنف ضد المرأة عملية سهلة والتي تتمثل أساسا في تجمهر الشباب والمراهقين، حرية نشر المضامين وسرعة مشاركتها على نطاق واسع، هامش الحرية الكبير واختراق الخصوصية وترويج الإشاعات والأخبار الكاذبة. وتكمن المضامين التي تتضمن العنف ضد النساء في نوعين أولهما النوع المضمرو والذي ظاهره ذو طابع ساخر لكنه يحمل عنف رمزي تكمن عواقبه في إلحاق ضرر معنوي للمرأة إضافة إلى غرس أفكار سامية في الأفراد. وأخرى مدروسة بقصد الإساءة والاعتداء على المرأة والحط من قيمتها الاجتماعية وتكون من أشخاص يتميزون بالعنصرية، وقد يصل هذا الأمر إلى إطلاق دعوات بالاعتداء على المرأة بحجج مختلفة أحيانا باسم الأعراف وأحيانا أخرى باسم الدين.

الكلمات المفتاحية: الفضاء الافتراضي، المرأة، العنف، الضرر المعنوي، التمييز العنصري.

Abstract:

Virtual spaces are globally considered a place of democracy and freedom of speech. However, these virtual spaces carried the negative mentalities and practices, where discrimination and violence against women are embedded. Virtual spaces transferred violence from social reality to another virtual one. The latter has numerous characteristics, which make the reinforcement of violence against women an easy task. The characteristics are: Gathering of youngsters, youth, and teenagers; the freedom of publishing contents and sharing them widely and speedily; the total

freedom; breaching the privacy; spreading rumors, misinformation, and false news. The contents that imbed the violence against women have two (02) types: the first type is the tacit or implicit content, which appears superficially to be ironic and sarcastic, yet it has symbolic violence. The latter symbolic violence might cause moral harm to women especially, and inculcate toxic thoughts in peoples' minds generally. The second type is the deliberate content intending to abuse, aggress, and underestimate women. It is usually committed by discriminators. The situation might develop to reach the level of calling to aggress women, taking religion or custom as an argument.

Keywords: cyberspace, women, violence, moral harm, racial discrimination

مقدمة:

ظهرت المشكلات الاجتماعية ومن بينها العنف منذ ظهور الإنسان على وجه الأرض غير أن هذا السلوك يأخذ أشكالاً متنوعة حسب ما تتسم به العصور من تحولات حضارية مختلفة. وفي الوقت الحالي نلاحظ أن العنف تغيّر واتخذ أشكالاً عديدة في كل مرحلة من مراحل تطور المجتمعات الإنسانية. غير أنه في الوقت المعاصر برز ما يعرف بالعنف الإلكتروني كأشكال العنف الذي ظهر نتيجة تطور البيئة الاتصالية وبروز المجتمعات الافتراضية، التي انتقلت إليها أشكال العنف المختلفة والذي يتميز بكونه لفظياً نظراً لكونه يتم عبر الوسائط الاتصالية، إلا أن هذا النوع من العنف لا يقل أهمية وخطورة من العنف المادي.

ولطالما عانت المرأة من التمييز العنصري مقارنة بالرجل ومورست عليها كل أنواع الاستغلال من بينها العنف بكل أنواعه سواء كان مادياً أم معنوياً. ومع انتشار تطبيقات العالم الافتراضي المختلفة على غرار المدونات والفيديو بوك وغيرها من التطبيقات التي كسرت الحواجز النفسية التقليدية ومكنت من تجاوز القيود المحلية، فأصبحت هذه الوسائط التواصلية آلية لاندماج المرأة في فضاءات علنية (الجماعات الافتراضية) لا تخضع فيها لمعايير التمييز والتفرقة والتراتبية التقليدية. (إقبال الغربي: 2009، ص 111). ويعتبر الفضاء الافتراضي مجرد امتداد لما تعيشه المرأة من ممارسات عنيفة في مختلف أماكنها في المجتمع، فباتت هذه الفضاءات أحياناً منصات لبث بعض خطابات الكراهية المسيئة للمرأة أو لحريتها عن طريق أفراد مجهولين وذلك تعزيراً لكل ما يحدث ضدها في واقعها الفعلي، متناسين المكانة والأهمية الكبيرة للمرأة ضمن الأطر المجتمعية.

وتأتي هذه الدراسة الوصفية من أجل تحديد ملامح ممارسة العنف ضد المرأة التي انتقلت إلى الفضاء الافتراضي كامتداد طبيعي لما يحدث في الواقع الاجتماعي الفعلي، من خلال العناصر التالية:

. العنف ضد المرأة التعريف والمجال والتداعيات.

. تمثيلات العنف ضد المرأة في الفضاء الافتراضي الجزائري.

. آليات الحماية من ممارسات العنف ضد المرأة في الفضاء الافتراضي.

1. العنف ضد المرأة (المفهوم والمجال والتداعيات):

يعد العنف من أولى مظاهر السلوك التي عرفت المجتمعات البشرية لكن معدلاته ارتفعت كثيراً خلال العقود الأخيرة، كما أظهرت أنواعاً جديدة لأول مرة ولا يكاد مجتمع معاصر يخلو من بعض أشكال العنف التي عرفت المجتمعات منذ زمن بعيد، إلا أن بعض أسبابه مرتبط ببعض خصائص المجتمع الحديث وخصوصاً ما يبدو أنه تعبير عن الضغوطات ومثار الإحباط. (بشرى عبد الحسين: 2017، ص 101) ويعرّف

عالم الاجتماع (جوهان قولتن) العنف بأنه ضرر يمكن تجنبه عند الوفاء بالاحتياجات الأساسية للإنسان مثل البقاء وتعزيز الرفاهية والهوية والحرية. (إسماعيل مجاهد: 2013، ص 5).

أما عن العنف ضد المرأة فهو "أي عمل أو تصرف عدائي أو مؤذٍ أو مهين، يرتكب بأي وسيلة بحق أي امرأة لكونها امرأة، يخلق معاناة جسدية وجنسية ونفسية بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من خلال الخداع أو التهديد أو الاستغلال أو التحريض أو الإكراه أو العقاب أو إجبارها على البغاء أو أية وسيلة أخرى وإنكار وإهانة كرامتها الإنسانية أو سلامتها الأخلاقية أو التقليل من أمن شخصها ومن احترامها لذاتها أو شخصيتها أو الانتقاص من إمكانيتها الذهنية والجسدية، ويتراوح ما بين الإهانة بالكلام حتى القتل. ويمكن أن يمارس العنف ضد المرأة من قبل أفراد أو جماعات أو مؤسسات بشكل منظم أو غير منظم. (أم الرتم سحر، عواج سميرة: 2018، ص ص 759، 760) وفي مجتمعاتنا المحلية يمارس العنف ضد المرأة سواء طرف أفراد أو بشكل جماعي من خلال النظرة الدونية للمرأة وممارسة التمييز العنصري ضدها، حتى في ظل الحرية التي نالتها وكفلتها المواثيق والقوانين الدولية والوطنية.

وبالنسبة لأشكال العنف ضد النساء في العالم، فقد أجمعت التقارير الدولية على وجود الأشكال التالية:

- **العنف الجسدي:** هي استخدام القوة الجسدية من قبل أي شخص من شأنه أن يترك أثارا واضحة ويتسبب في أضرار جسدية ويعتبر العنف الجسدي من أكثر أشكال العنف وضوحا وشيوعا، مثل الضرب والشد والعض وإحداث الكسور والحرق وغيرها، ويقع ضمن هذا النوع من العنف أيضا الحرمان من الحاجات الأساسية مثل الطعام والماء والنوم والمأوى والذي من شأنه أن يحدث أذى جسدي.
- **العنف الجنسي:** هو الإغرام على الاتصال الجنسي أو التشجيع أو الإكراه على البغاء أو الإغرام على مشاهدة الجنس، ويشمل اغتصاب والتحرش الجنسي وأي تعليقات جنسية تخالف قواعد الدين والخلق في الاتصال الجنسي واستخدام القوة والسلطة في ذلك.
- **العنف النفسي/ العاطفي:** ارتكاب أو الامتناع عن القيام بأي سلوك يهدد شعور وإحساس المرأة بقيمتها الذاتية والإهانة والتحقير والشتم والحرمان واستخدام الألفاظ واللوم والتهديد والتشكيك في قدراتها، والذي من شأنه أن يؤدي إلى الشعور بالدونية واليأس والاكتئاب بدرجات مختلفة.
- **العنف الاقتصادي:** حرمان المرأة من التصرف بالموارد الاقتصادية أو المساهمة في اتخاذ القرارات المالية التي تهمها وتؤثر في مستقبلها، والتي تجعلها معتمدة كلياً على غيرها وتشمل الحرمان من التصرف بممتلكاتها أو الإنفاق على حاجاتها الأساسية أو حرمانها من الإرث أو التملك وتعويضها للاستغلال الاقتصادي.
- **العنف الاجتماعي:** هو أي فعل أو سلوك يحرم المرأة من حقوقها الاجتماعية، مثل التدخل في علاقاتها الاجتماعية وعزلها عن المجتمع وقطع سبل التواصل ضمن إطار العلاقات الاجتماعية المشروعة. (هيفاء أبو غزالة: 2008، ص 1).

وأتاح التطور التكنولوجي بروز المجتمعات الافتراضية التي تعتبر ذات مبادئ وقواعد غير بعيدة عن الواقع، حيث برز نوع جديد من العنف وهو "العنف الإلكتروني"، ويمارس هذا الأخير على مختلف التطبيقات الاتصالية الرقمية من بريد الكتروني أو مدونات وشبكات للتواصل الاجتماعي... الخ، ويتعزز من خلال الحرية الفردية والفكرية المتاحة على مثل هذه المنصات إضافة إلى قلة الرقابة وصعوبتها وممارسة مثل هذه الأفعال تحت شخصيات وهمية وغير معروفة غالباً.

وتتمتع الشبكات الاجتماعية بمجموعة من الإيجابيات منها، تعمق مفهوم المشاركة والتواصل مع الآخرين، وتحفز على التفكير الإبداعي والتعلم بأنماط وطرق مختلفة؛ بسبب التواصل مع أشخاص من بيئات مختلفة، وتساعد على قبول القضايا الخلافية، وتساعد على تنشيط المهارات لدى المستخدم، وتحقق قدرا لا بأس به من الترفيه والتسلية. وبالرغم من الإيجابيات التي تتمتع بها الشبكات الاجتماعية، إلا أنها لا تخلو من بعض السلبيات، كإدمان الجلوس عليها مما يعطل الكثير من الأعمال، وظهور لغة جديدة بين الشباب، ناهيك عن تعرض المستخدمين للجرائم الإلكترونية من خلالها. (إياد محمد حمدانة: 2013، ص 80).

ويعدّ العنف الإلكتروني كغيره من أنواع العنف، إلا أنّ الفرق بين العنف الذي يحدث وجها لوجه والعنف الإلكتروني الذي يحدث على شبكة الانترنت هو الغموض الذي يتسم به النوع الثاني من العنف، إذ بإمكان الأشخاص على شبكة الانترنت أن يتقمصوا هويات متعددة ومختلفة من أجل مضايقة الآخرين، حيث يأخذ العنف الإلكتروني أشكالا عدّة، كاختراق البريد الإلكتروني لشخص ما، أو السطو على حسابه في موقع ما، ثم إرسال رسائل بذيئة أو صور غير مقبولة، أو نشر صور معدّل عليها، أو إفشاء خصوصيات شخص ما ومناقشتها بصورة غير شرعية، أو سرقة معلومات هامة، أو نشر رقم هاتف لشخص ما دون إذنه، أو إثارة شائعات سيئة وكاذبة، أو إرسال فيروسات بغرض تدمير البيانات الموجودة على جهاز شخص ما، وغيرها من الأشكال والأهداف. (إياد محمد حمدانة: 2013، ص 81).

ويتسم العنف عبر هذه الفضاءات بأنه رمزي في بعض الأحيان أو لفظيا في أحيان أخرى، لكنه لا يقل أهمية عن العنف المادي أو الجسدي، فلطالما كان العنف اللفظي هو المهدد للمادي، كما أن العنف الرمزي تتعدد مظاهره في الحالات التالية وأكثر:

- كل عبارات الاحتقار والتسلط دون حق.
- القذف بالسوء.
- التهديد أو الإكراه.
- الإعجاب بالنفس، التكبر ورفع الصوت.
- السخرية والتشبيه بالحيوان، النعت بالعاهات والخصائص الجسمية.
- الوصف بالجهل وسب الأقارب، سب الجلالة والاتهام بالعجز والضعف. (العرود لزمد: 2005، ص 36).

وللعنف الرمزي ضد المرأة عدة تداعيات سلبية تؤثر في الأجيال القادمة، حيث يعمل على إنتاج الآليات والأدوات والمعايير التي تضمن استمرارية الهيمنة الذكورية وتمارس سلطة الرمز هذه الأعمال بطريقة منظمة وغير منظورة متخفية خلف حدود العيب والحرام والعادات والتقاليد، التي تشكل بدورها رأسمالا رمزيا. والغاية من وضعها خدمة وظيفة أساسية تتمثل باستمرار بُنى الهيمنة، ويعمل العنف الرمزي على تجريد المرأة من الثقة بالنفس ويدفعها بدورها إلى تبني عملية تبخيس ذاتية ومستمرة، كما يلعب دورا مهما في تكريس حالة اللامساواة وتأصيل الفروقات الاجتماعية لصالح الطرف المهيمن وهو الذكر، كما تتجسّد خطورة هذا النوع من العنف في أنه يؤسس للأشكال الأخرى للعنف، من خلال قيام النساء أنفسهن وعبر دورهن في التنشئة الاجتماعية بنشر وغرز وإعادة إنتاج المفاهيم والقيم الثقافية التي تبرز العنف ضد المرأة، بل تجعله قيمة رمزية أسمى من الضحية والجلاد وبذلك تعمل المرأة على إعداد ذكور مهيبين للعنف ونساء متقبلات له. والناحية الثانية تتمثل في أن تبني المرأة مواقف مؤيدة للعنف الممارس ضدها يعرضها بشكل أكبر لدور الضحية. (أم الرتم سحر، عواج سميرة: 2017، ص 60). وهو ما يتجسّد في حالات عديدة في مجتمعنا المحلي، حيث تربي الأم الابنة على أنها يجب أن تقبل كل ما يقوم به الرجل في محيطها مهما كانت صفته من تعنيف ضدها قد يكون جسديا أو لفظيا، وتبرر ذلك بأن ذلك من سمات المرأة الصالحة المطيعة.

كما تعطي-أحيانا- الأسرة الحق للأخ أو الأب أو الزوج بأن يمارس العنف ضد المرأة صراحة وبشكل مباشر، هذا طبعاً في حدود بعض النماذج ولا يمكن التعميم.

إن العنف عموماً لاسيما العنف الإلكتروني يمارس على كل فئات المجتمع فهو ظاهرة مرتبطة بالمجتمعات بكل اختلافاتها الدينية والحضارية، إلا أن العنف ضد المرأة يقوم على أساس عنصري- ومحاربة العنصرية مبدأً أساسياً لتحقيق المساواة بين الأفراد والسلم الاجتماعي- أي تكريس صفة الأفضلية للرجل وهذا هو جوهر موضوع العنف ضد المرأة. وتالياً نعرض بعض الممارسات العنيفة ضد المرأة في الفضاءات الإلكترونية.

2. تمثيلات العنف ضد المرأة عبر الشبكات الاجتماعية ورؤية المرأة حولها:

نجحت الأنماط الاتصالية الجديدة التي تتيحها شبكة الانترنت في خلق مفاهيم مجتمعية جديدة تتأسس من خلال البيئة التي يحدث من خلالها هذا التواصل، وطبيعة تشكله ضمن الفضاء المعلوماتي الذي تشكل بفضل الانترنت مؤسسة بذلك بيئة تفاعلية جديدة تحاكي البيئة التقليدية أطلق عليها المجتمع الافتراضي. إن أهم ما يميز هذه التجمعات الافتراضية هي أنها متاحة لأفراد الذين يريدون المشاركة في أحد أنماطها، فالمدينة الافتراضية على حد قول ألبرت روبرت (alberta ropert) وميشيل جينكينسون (michael jenkinson) مدينة لاتنام. فهناك دائماً أفراد مشتركون في التفاعلات الافتراضية حتى منتصف الليل، ولا غرابة في ذلك فلقد أصبح الإنترنت يشكل بشكل عام جزءاً من حياة الناس والجماعات الافتراضية بأنماطها المختلفة باتت تشكل أهمية للعديد من بالإنترنت كمجال للبحث أين أقروا بأن الحاسوب أو الإنترنت هي أسلوب حياة. (رانيا محمود الكيلاني: 2018، ص ص 163، 164).

إن العنف هو مشكلة تستمد أساساً قوتها وشرعيتها من التمييز على أساس الجندر وهذه المشكلة لا تقتصر على مجتمع محدد، إنما هي مشكلة عالمية حتى في أقوى الدول الديمقراطية، أين تلعب المرأة دوراً أساسياً ضمن روح المجتمع. غير أنه في مجتمعاتنا مازالت المرأة تعاني من التمييز وينظر إليها على أنها كائن ضعيف مكانه البيت ودوره الإنجاب فقط. وتتعدد أنواع هذا العنف عبر مواقع التواصل الاجتماعي من خلال ما نلاحظه من نوع الخطاب المنتشر عبر هذه المنصات والمستمد من الذكورية الطاغية في مجتمعنا، فكل من هب ودب يمكنه أن يبدي رأيه حول المرأة وعملها وطريقة لباسها وتفكيرها أو كيف تبتسم وتضحك... الخ، وتجده يُخَوَّل نفسه لأن يكون حاكماً على كل سلوكياتها ومشاعرها. ويتحدث "سعيد بنيس" أستاذ علم الاجتماع بجامعة محمد الخامس بالرباط عن أنّ العنف الممارس ضد المرأة في العالم الافتراضي، تكريس للعنف الممارس ضدها في العالم الواقعي، حيث يتم إسقاط المقولات المتداولة في العالم الواقعي على تفاعلات العالم الافتراضي؛ وفي المُحصلة فإنّ مكونات خطاب العنف اللفظي ضدّ المرأة في العالم الافتراضي مُكتسبة من الوسط الاجتماعي.

(محمد الراحي: <https://www.hespress.com/femme/374863.html>)

إنّ الفضاء الافتراضي المفتوح وإن شكل للمرأة اختراقاً لم يسبق لها تحقيقه بهذا الوضوح، إلا أنه زاد من إمكانية تعرضها للعنف الإلكتروني، فتشير دراسة للأمم المتحدة إلى أن (65%) من النساء يعانين من الأذى عن طريق الفضاء الافتراضي، لكن الأرقام الحقيقية تبقى طي الكتمان بوجود أطر أبوية، تمنع النساء من مشاركة مثل هذه المعلومات. ونشرت صحيفة الغارديان البريطانية دراسة عام (2015) تتحدث عن زيادة

"الميزوجينية" (كراهية النساء) في الفضاء الإلكتروني، حيث تنشر كل سنة في بريطانيا عشرات آلاف التغريدات التي تحتوي على توصيفات تسيء إلى كرامتها. (رند صباغ، 2017، <https://cutt.us/AyfVX>)

وهذا الواقع لا يختلف في كل المجتمعات، كما أنه يتعدى مجرد الكراهية إلى بعض الممارسات التمييزية ضد المرأة فالعنف الرمزي الموجود في العالم الافتراضي مثله مثل العالم الواقعي يتميز بالتخفي والانسياب في العقل دون أن يشعر الفرد الضحية بهذه القوة التي تجعله يخضع لها، بحيث ترمجه بصورة لا واعية، وتستقر في عقله الباطني، فيحسّ وكأنه يخضع لذاته ولكنه في الحقيقة يخضع لها، وخاصة أنه يصدر من طبقة متمركزة في موقع الهيمنة، والهدف منه هو توليد معتقدات وإيديولوجيات ترسخ في عقول الأفراد، ولو أخذنا على سبيل المثال العنف الرمزي ضد المرأة نجده يمثل نسقاً رمزياً لا حدود له من الصفات والسمات السلبية التي تأخذ المرأة إلى الجريمة والغواية، حيث توصف بالخبت والسحر والفتنة وضعف العقل، بمعنى أنها مصدر كل شر. ويشمل العنف اللساني الاجتماعي أساليب تجاهل الآخر، والتعدي عليه واحتقاره، أو إهانته، ممّا يفكك أواصر المجتمع، وينهك قواه، ويحيده عن القيمة. ويشمل هذا العنف مجالات عدّة، فالبعض يخصّ الحياة المعيشية الصرفة، والبعض يخصّ الحياة الأسرية، والبعض يخصّ النمط الجديد من الحياة، وتقديس المال، والتباهي بالأبطال....، وينعكس ذلك في ألفاظ خاصة ونكت وأمثال، ورغم أنّ هذه التعابير قد تعكس واقعاً إلا أنها ليست قيماً لغوية. (عائشة لصلح: 2016، ص 20) والغريب في الأمر هو أن المرأة في حدّ ذاتها تساهم في نشر مثل هذه الممارسات من خلال تقبلها لما يروج ويقال عنها في هذه الفضاءات والثاني يتمثل في مشاركتها في نشر مثل هذه الرسائل على نطاق أوسع منها في رؤية تبدو ساخرة من جهتها، إلا أنها تمثل العقل الباطني لها الذي تشرب وامتلئ لكل ممارسات العنف الرمزي.

وفي الفضاء الرقمي الجزائري تتعرض النساء إلى انتهاكات للخصوصية تصويرها دون علم منها ونشر صورها إضافة إلى إطلاق حملات التشويه والسب والقذف والتهديد، حيث انتشرت في المدة الأخيرة عبر مختلف مواقع التواصل الاجتماعي منشورات وتعليقات تحرض على العنف ضد النساء تحت اسم الدين أحيانا والعادات والتقاليد أحيانا أخرى.

ففي مجتمعاتنا نلاحظ أن الذكر يمارس سلطته على المرأة بدون أن يشعر هو حتى، لأن مثل أنماط التفكير هذه متوارثة عبر الأجيال وتدعمها التقاليد والأعراف الاجتماعية ضمناً، فبقدر ما تم الانفتاح في مجتمعاتنا وتخلصت المرأة فيه من الكثير من القيود عن طريق قصة كفاح طويلة ووقوفها مع الرجل في أكثر المواقف صعوبة، إلا أن الذهنيات لازالت تعيش فيها النظرة الدونية للمرأة ونظرة الاستعلاء والهيمنة من طرف الرجل.

وتجدر الإشارة هنا إلى ذلك التعريف الذي أطلقت "بيار بورديو" حول العنف الرمزي بأنه كل نفوذ أو سلطة تأتي من خلالها طرح مجموعة من الدلالات التي تفرض وتحمل في معانها الشرعية لكتم ومحو تقارير القوة التي هي في حد ذاتها أساس ومنبع لهذه القوة. (عائشة لصلح: 2016، ص 32). والمرأة جزء من هذه المنظومة التي يمارس عليها شتى أنواع العنف الرمزي، فهي غير ذات سلطة في المجتمع، فهي المخلوق المستضعف الذي دائماً يكون هناك من يكون ولياً لأمره ويتجسد هذا بقوة من خلال ما نراه اليوم على الفضاءات الافتراضية. ويتخذ هذا العنف العديد من الأشكال عبر هذه المنصات منها ما هو مقصود وواضح ومنها ما ينشر بدون وعي:

- السخرية من شكل المرأة الجزائرية مقارنة بالمرأة في مناطق أخرى من العالم خاصة المرأة الغربية مع تهمين ما تقوم به المرأة الأجنبية مقابل إحباط الجزائرية، حتى ولو كان نفس الفعل من أجل الحط من قدرها، كما أنه لا يقبل تلك التصرفات من المرأة القريبة منه. مثل إطلاق مصطلحي (الموسطاشة أو المعزاة) - بالعامية-

على الفتاة الجزائرية في إشارة واضحة إلى أنها شبيهة بالرجل أي أنها ليست جميلة، هذا التعميم غير المبرر نابع من الحقد والكره ضد النساء لدى الذكور والذي خلقتة الأعراف والتقاليد المجتمعية البالية، خاصة وأن معايير الجمال تختلف باختلاف المنطقة والمنظرة المجتمعية السائدة. ولا تتوقف السخرية فقط عند الشكل بل يطال ذلك كل ما تعلق بالمرأة الجزائرية في حديثها وطرق تعبيرها عن نفسها ونمط معيشتها...الخ.

- تصوير المرأة دون علمها ونشر صورها، فالمتصفح للمواقع التواصلية يجد الكثير من الصور للفتيات الجزائريات من دون علمهن وهذا من أجل التهكم على طريقة لباسها أو ما تفعله أو ولفت الانتباه إلى أي شيء آخر لا يخص المجتمع، بل هو خاص بها وحدها وفي هذا اعتداء صارخ على حريتها وإهانة لكرامتها وبذلك يُنصب الرجل نفسه مسؤولاً عن كل امرأة باسم العادات والتقاليد والأعراف أحياناً، وأحياناً أخرى باسم الشريعة التي غالباً ما تستخدم كدرع يحمي به الأفراد من شناعة أفعالهم.

- نشر صور أو أرقام هواتف للفتيات من أجل التشهير بهن وإزعاجهن وتهديدن لأغراض الانتقام منها سواء بحق أو بغير حق خاصة من الأفراد المقربين والمتربصين، وهو ما يؤدي إلى عواقب وخيمة قد تضطر المرأة إلى دفع الثمن غالياً من طرف أسرته قد تصل إلى القتل خاصة في المناطق الأكثر محافظة على مستوى الثقافة السائدة.

- التحريض ضد ممارسة العنف الجسدي ضد المرأة، فالملاحظ لمواقع التواصل الاجتماعي يجد العديد من المنشورات التي تطلق نداءات من أجل الاعتداء على المرأة التي لا تلتزم بمعايير المجتمع-حسب رأيهم الخاص- مثل إطلاق نداءات على موقع الفيس بوك في الجزائر في (2019) تحرض على حرق وجه المرأة المتبرجة بأحماض (acid) من أجل معاقبتها وردعها وحتى تكون عبرة للأخريات -حسب رأيهم-، هذه السلوكيات الغريبة مهددة للأمن المجتمعي والفكري، ناهيك عما يمكن أن يسبب ذلك من خوف لدى أي امرأة مهما كانت مواصفاتها، وذلك يمنعها من العيش بحرية وممارسة مهامها بأمان. أو إطلاق وسم (هاشتاق) عبر موقع تويتر، مثل هاشتاق "نعم لقتل البنات" تطلق مثل هذه الوسوم من أفراد مجهولين تحت أسماء مستعارة، وبحكم أنّ الشباب يتأثرون بكل ما يشاع أو يقال بكل سهولة، بسبب الهشاشة النفسية والاجتماعية التي يتميزون بها فإن مثل هذه الأفعال تلقى صدى واسع وتفاعل معها.

وتلقت الشركات التي تملك المواقع الكبرى على غرار موقعي فيسبوك وتويتر تحذيرات من السلطات وأخرى من الشركات الاقتصادية المعلنة من أجل التحكم أكثر في المحتويات التي المسيئة عموماً والتي تبني العنصرية ومن بينها العنصرية ضد النساء.

وبالحديث عن موقع "تويتر" الذي يعتبر ساحة فكرية حرة فإن العنف والإساءة ضد النساء عليه يتخذ أشكالاً متعددة، منها التهديدات المباشرة أو غير المباشرة باستخدام العنف الجسدي أو الجنسي؛ والإساءة التي تستهدف جانباً أو أكثر من جوانب هوية المرأة، من قبيل العنصرية أو رهاب التحول الجنسي؛ والمضايقات المستهدفة؛ وانتهاكات الخصوصية، مثل نبش معلومات خاصة عن شخص ما ونشرها على الإنترنت بقصد إلحاق الأذى به؛ وتبادل صور جنسية أو حميمة لامرأة بدون موافقتها. إنّ هدف هذا العنف والإساءة هو خلق مناخ عدائي على الإنترنت للنساء بهدف إلحاق العار بهن أو ترهيبهن أو إهانتهم أو الحط من شأنهن وفي النهاية إسكاتهن. (تقرير منظمة العفو الدولية : <https://cutt.us/tbX3z>).

ونظراً لانتشار هذه الظاهرة عبر الفضاء الافتراضي عمدت الهيئات الحقوقية إلى القيام بدراسات ومسوح، من أجل كشف حجم تعرّض المرأة للعنف أسبابه وإطلاق الإنذارات من أجل تبني تدابير الحماية،

فمثلا في سنة (2018) عملت منظمة العفو الدولية من أجل التصدي لهذا الاتجاه الخطير الذي يهدّد قدرة النساء على المشاركة الحرة في المجال العام، وقد وجد التقرير المعنون بـ (تويت السّام): "العنف ضد المرأة والإساءة إليها على الإنترنت" بأنّ النساء يُستهدفن بالعنف والإساءة على تويت لأسباب عدة، أحيانا بسبب تجرّؤهن على الحديث حول قضايا معينة نسوية على الأغلب، وأحيانا أخرى بسبب كونهن شخصيات عامة. ومع أنّ أشخاصا من جميع فئات النوع الاجتماعي يمكن أن يتعرضوا للعنف والإساءة على الإنترنت، إلّا أنّ الإساءة التي تتعرض لها النساء غالبا ما تكون ذات طبيعة جنسية أو متحيزة ضد المرأة، وأن التهديدات بالعنف ضد النساء على الإنترنت غالبا ما تكون جنسية وتتضمن إشارات محددة إلى أجساد النساء.(تقرير منظمة العفو الدولية: <https://cutt.us/tbX3z>).

3. تدابير الحماية من العنف ضد المرأة على الفضاء الافتراضي:

تسعى الدول ومؤسساتها الحكومية وغير الحكومية الوطنية أو العالمية من أجل ضمان الأمن المجتمعي، ومنها ضمان أمن وحرية المرأة التي تعتبر فئة مستضعفة إلى جانب الأطفال، من خلال وضع موثيق وقوانين تجرم الأفعال والممارسات التي تعرّض المرأة لأي خطر أو عنف كان سواء رمزي أو مادي. والبدائية من الجزائر، اتخذت الجزائر وعبر منظومتها القانونية احترازا عديدة من أجل السيطرة على العنف ضد المرأة عبر الفضاءات الافتراضية فمثلا أقرّت وزارة العدل إجراء مهما مطلع سنة (2019)، حيث أنه أصبح باستطاعة النيابة العامة تحريك الدعوى العمومية فيما يخص دعوات للعنف ضد المرأة بعد أن انتشرت مؤخرا في مواقع التواصل الاجتماعي. وهو ما يحيل إلى الأهمية الكبيرة لموضوع العنف ضد المرأة ضمن الأجندة السياسية للدولة وهذا اعتراف بإجبارية حماية الفئات الضعيفة تحت كل الظروف وان تمادى الأمر إلى الفضاء الافتراضي. (الموقع الإلكتروني: وكالة الأنباء الجزائرية، متاح على: <https://cutt.us/RTpfY>).

ويشير هذا الأمر إلى اعتبار الفضاءات الافتراضية بنفس مكانة الواقع الفعلي ومعاملته بالمثل. وبالتالي، فإن أي عنف يمارس عبر منصات هذا الفضاء يحظى بنفس العقوبات التي يمكن أن تطبق عليه في الواقع، نظرا لكونه بيئة ثانية موازية، كما أن هذا الفضاء هو بمثابة مورد للرسائل الإعلامية التي بدورها جزء من منظومة التنشئة في المجتمع حاليا ولا أحد ينكر قوتها على هذا المستوى.

وصفت وسائل الإعلام الاجتماعية كأداة تحرير للمرأة ومساحة آمنة، حيث يمكن للمرأة التعبير عن رأيها بثقة في المجال العام. ومع ذلك، شهدت الفترة الأخيرة سلسلة من الحوادث، وقد تم مقارنة وسائل الإعلام الاجتماعية بالشارع، حيث تتعرض النساء لسوء المعاملة والتهديد، غير أن هذه الحرية التي منحها العالم الافتراضية -ورغم أنها وهمية- إلا أن الكثير من النساء لا يملكن القدرة على البوح بكل ما يجول في خواطرهن، حتى حول قضايا يومية، وذلك للتراكمت المجتمعية التي تلازمهن في كل الحالات.

وبيّنت دراسة فلسطينية أن معظم النساء يشعرن بأنواع مختلفة من الرقابة أثناء دخولهن واستخدامهن للموقع، أهمها الرقابة الذاتية والرقابة الاجتماعية والرقابة الأمنية والسياسية والأخلاقية، إضافة إلى الرقابة الدينية. وتشير الدراسات إلى أن الرقابة الذاتية تمثل الرقابة الأوسع والأخطر، بحيث لا يستطيعون أن يتصرفوا بحرية كاملة في الكتابة ونشر الصور وكتابة التعليقات، بمعزل عن محيطهم الذي يضع محظورات كثيرة.(محمود الفطافطة: 2013). ولقد ورد أنه قد ينظر في العديد من الحالات إلى المناخ الاجتماعي والثقافي، وما تفرضه بعض العادات والتقاليد على أنها ظروف صعبة لا تقبل أو تعيق تقدم إشراك المرأة وتفعيل أدوارها.(فوزي شريطي مراد: 2015، ص 265). وقد يرجع السبب في محاولة وضع حدود

لاستخدام الانترنت من طرف المرأة، بسبب كونها فضاء يتسع الآراء وحوارات وإبداعات تجسّد أرقى درجات العقلانية والتحضر والسلام والتسامح والفكر والتدين والإنسانية والوطنية، كما يتسع لآراء وحوارات أخرى تجسّد أسوأ مستويات البذاءة والشذوذ والانحراف والجهل والتعصب والإنسانية والعنصرية.(ماهر عودة، محمود عزت، مصطفى يوسف: 2015، ص 21).

وتوجد جهود عالمية حثيثة من أجل محاربة الاعتداء على المرأة في العالم الرقمي، وحمايتها من مضامين العنف وخطابات الكراهية، بغية توفير الفضاء المناسب للتعبير الحر عن نفسها في كل المواضيع وممارسة نشاطاتها الفكرية وهواياتها بكل حرية.

من جهة أخرى أيضا تعمل المنصات الاجتماعية الافتراضية الكبرى على غرار فيس بوك وتويتر ويوتيوب بوضع عدة آليات تقنية من أجل الحفاظ على الخصوصية، كما تقوم برقابة على المضامين المنتشرة، مثلا منها تلك التي تحرض على العنف عموما، غير أن هذه الرقابة هي محدودة ولا تصل إلى الحد المطلوب الذي يوفر الأمان الفعلي عبر هذه الشبكات.

وكمثال على ذلك قامت مجموعة "المرأة والعمل ووسائل الإعلام (WAM)" و"مشروع التحيز الجنسي اليومي" في المملكة المتحدة بشن حملة مشتركة تظهر بعض الإعلانات المسيئة للمرأة على شبكة الفيس بوك، وبسبب هذه الحملة سحبت العديد من الشركات إعلاناتها من شبكة الفيس بوك. وتواصلت مثل هذه النشاطات بعد نجاح هذه الحملة مستفيدين من دعم الناشطين عبر الانترنت إلى إرسال مثل تلك المضامين المسيئة للمرأة- خاصة ما تعلّق منها بالكراهية- إلى شركات أخرى للاقتداء بالشركات السابقة وسحب إعلاناتها من الشبكة، كما طالبوها بحذف كل الصفحات التي تشجع على الاغتصاب والعنف ضد المرأة وإعادة النظر في سياستها الخاصة بتنظيم هذه المضامين، وتحت الضغط لجأت الشبكة إلى اتخاذ التدابير اللازمة ضد هذا النوع من المضامين التي تستهدف المرأة.

وفي حالة أخرى اتخذت شبكة "تويتر" موقفا مناهضا للتحرش بالمرأة، وذلك بالتعاون مع منظمة "المرأة والعمل ووسائل الإعلام" من خلال استهلال مشروع تجريبي مشترك في شكل منبر يحاول التخفيف من حدة المضامين المسيئة، ويرمي هذا التعاون إلى تمكين المنظمة أكثر من جمع البيانات الخاصة بالمضامين المسيئة التي تركز على الانتماء الجنسي عبر الانترنت بغية استكشاف الظاهرة بعمق.(تقرير منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة: 2015، ص 47).

وبينما تؤكد منابر التواصل الاجتماعي صراحة على أنها لا تتساهل مع الإساءات الموجهة على أساس النوع الاجتماعي للشخص أو أي هوية أخرى، فإن عليها أن تطبق معاييرها المجتمعية الخاصة بها. كما ينبغي أن تكون قادرة على تمكين المستخدمين من اللجوء إلى الحماية الفردية وتدابير الخصوصية الشخصية من قبيل الحجب، وإسكات الصوت، وتصفية المحتوى. ومن شأن هذا أن يتيح للنساء وللمستخدمين عموما، الوقاية من المواد السامة والتخفيف من أذى التجارب المسيئة على الإنترنت.(تقرير منظمة العفو الدولية:

<https://cutt.us/tbX3z>

الخاتمة:

إن التطور الرهيب في ميدان الاتصال من خلال تطبيقات الجيل الثاني للانترنت جعل من المجتمع بكل أطيافه يهاجر إلى هذه الفضاءات الافتراضية كخيار تكنولوجي حتمي حيث تتجسد الحرية في الرأي والتعبير والنشروفضاء عام موازي.

وأخذ العنف ضد المرأة عبر الفضاءات الافتراضية الجديدة أشكالاً أكثر إبداً وحدثة مستمدة من الميزات التقنية التي سهلت التنوع في المضامين المسيئة والتحكم فيها ومشاركتها على نطاق واسع، لتتواصل معها معاناة المرأة المستضعفة حتى بعد قصص كفاح التحرر الطويلة التي خاضتها النساء ضد المجتمع وضد القوانين والتقاليد البالية.

ولم تنتقل تلك الممارسات إلى هذه الفضاءات فقط، إنما ساهمت في تعزيزها أكثر وانتشارها بين الشباب في أبشع أنواعها خاصة العنف الرمزي، حيث كرست هذه المواقع من انتشار مظاهر العنف الرمزي أو اللفظي تجاه المرأة، أين أصبحت دعاية من حيث شكلها أو مضمونها وسلوكياتها، في ظل صعوبة معرفة مطلق أو مروج حملات التعدي وانتهاك خصوصية المرأة والمس بكرامتها ويتركز تأثير مثل هذه الممارسات عبر الفضاءات الافتراضية في تمركز كل الشباب على المنصات وتأثرهم بما يقال وينشر فيها.

في خضم ما سبق تعمل هيئات الدفاع عن حقوق الإنسان والمرأة والمناهضة للعنصرية على الحد من انتشار هذه الظاهرة أكثر ومحاربتها في الفضاء الافتراضي من خلال إجراء البحوث والدراسات وإطلاق التقارير التي أبانت عن تعرض المرأة إلى كل أنواع العنف، حيث باتت أماكن غير آمنة لفئة كبيرة من النساء، وذلك من خلال الضغط على القائمين على المنصات الرقمية من أجل استحداث تقنيات تمكن التحكم أكثر في المحتوى المسيء للمرأة كالإعلانات والمضامين الفردية... الخ.

- قائمة المراجع:

اولاً: الكتب

- رانيا محمود الكيلاني(2018)، التحرش الجنسي من الواقع الاجتماعي إلى الفضاء الافتراضي، ط1، القاهرة، دار الشقري للنشر.
- فوزي شريط مراد(2015)، التدوين الإلكتروني والإعلام الجديد، عمان، دار أسامة للنشر والتوزيع.
- ماهر عودة، محمود عزت، مصطفى يوسف(2015) الإعلام الرقمي الجديد، ط1، عمان: دار الإعصار.

ثانياً: الأطروحات

- العرود، لزمدة(2005) العنف الأسري ودوافعه وأثاره وعلاجه من منظور تربوي، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، الأردن.

ثالثاً: المقالات

- إسماعيل، مجاهد(2013) تحليل ظاهرة العنف وأثره على المجتمع، منشورات مركز الإعلام الأمني.
- إقبال، الغربي(2009) العنف ضد المرأة في الفضاء الافتراضي، منشورات صوت المرأة العربية، تونس.

- أم الرتم، سحر، عواج، سميرة (2018) التربية الإعلامية لمواجهة العنف اللاواعي ضد المرأة في الفضاء الافتراضي، دراسات وأبحاث المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد 10، العدد 4.
 - إياد محمد، حمدانة (2013) بناء مقياس اتجاهات نحو العنف الإلكتروني لدى عين من مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي بجامعة آل البيت، مجلة المنارة للبحوث والدراسات، المجلد 19، العدد 3، الأردن.
 - بشرى، عبد الحسين، أنعام، مجيد عبید، (2017) ممارسة العنف الإلكتروني لدى الشباب الجامعي، مجلة البحوث التربوية والنفسية، العدد 55.
 - لصلح، عائشة، (2016) العنف الرمزي عبر الشبكات الاجتماعية الافتراضية، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، الرباط.
 - أبو غزالة، هيفاء، (2008) العنف ضد المرأة- رؤيا مشتركة لإحداث التغيير-، نشرة دورية، العدد 2، المجلس الوطني لشؤون الأسرة، الأردن.
 - منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (2015)، الاتجاهات العالمية في حرية التعبير وتنمية وسائل الإعلام، منشورات اليونيسكو.
- رابعاً: مواقع الانترنت
- محمود الفطافطة: تفعيل قضايا الشباب الفلسطيني عبر الإعلام الجديد، متاح على: <http://www.atlasnews.ps/news.php?action=view&id=1481>، تاريخ النشر: 2013/01/26.
 - محمد الراجي: العنف الافتراضي ضد المرأة تكريس لواقع المجتمع المغربي، متاح على: <https://www.hespress.com/femme/374863.html>.
 - رند الصباغ، تحديات المرأة في ظل تطور وسائل التواصل الاجتماعي أبواب للحرية وأخرى للابتزاز، متاح على: <https://cutt.us/AyfVX> ، تاريخ النشر: 2016/02/08.
 - تقرير منظمة العفو الدولية: تويتر "المكان السام للنساء"، متاح على: الوقاية من المواد السامة والتخفيف من أذى التجارب المسيئة على الإنترنت، متاح على: <https://cutt.us/tbX3z> ، تاريخ النشر: مارس 2018.
 - العنف ضد المرأة عبر الإنترنت في 2018، متاح على: <https://www.amnesty.org/ar/latest/research/2018/12/rights-today-2018-violence-against-women-online/>، تاريخ النشر، ديسمبر 2018.
 - وكالة الأنباء الجزائرية، متاح على: (<https://cutt.us/RTpfY>) تاريخ النشر: 2018/06/18.
 - منظمة العفو الدولية تكشف عن الآثار المفزعة للتحرش ضد النساء على الإنترنت، متاح على: <https://cutt.us/AZZs3>، تاريخ الزيارة: 2018/04/03.